صورة المرأة في الحكايات الشعبية الموصلية

ـ دراسة تحليلية ـ

أ.م.د.نجلاء عادل حامد الراشدي

جامعة الموصل/ كلية الآداب

تاريخ استلام البحث : ٣١/ ١٢/ ٢٠٢٣

تاريخ قبول البحث : ٣١/ ١/ ٢٠٢٤

الخلاصة :

إن الحكاية الشعبية الموصلية تنطبع بالطوابع الاجتماعية التي يحملها الفرد الموصلي ويؤمن بها، فالحكاية الشعبية وهي تسجل الأحداث والوقائع اليومية، وإنها لشديدة التأثير بقيم الناس الذين نبعت منهم رواة ومستمعين.

لذلك لا يمكن تجاهل ما في الحكاية الشعبية من قيم وتقاليد والتي سيطرت على الفرد الموصلي، وجعلته ينسجم معها، بحيث يشكل حياته وسلوكه وفقا لها، إذ انه لا يوجد مجتمع من المجتمعات قديما أم حديثا لم تؤد المرأة دورها في حياته، فلقد فرضت طبيعة الحياة على الإنسان ، الإحساس بارتباطه بقوى بالدور الذي تقوم به المرأة في المجتمع ، سواء على الصعيد الاسري أو على صعيد المجتمع، وفي ظل هذا الإحساس كان لأبد من أن تأخذ المرأة حيز مهم من تراثه الشعبي بشكل عام والحكايات الشعبية بشكل خاص .

والحكايات الشعبية الموصلية تغطي مختلف جوانب الحياة، ونظرة الإنسان الموصلي إلى الحياة الاجتماعية ، وتعامله مع كل ما يحيط به، ويؤثر عليه، خيراً أم شراً، وتوجه مسار الحياة اليومية للمجتمع، بعلاماتٍ هادية، متعارفة عليها.

وقد ارتأت الباحثة إجراء هذه الدراسة للوقوف على الكيفية التي عالجت بها الحكاية الشعبية الموصلية موضوع المرأة في الحياة اليومية لمجتمع الموصل، فكان لها الدور الواضح في التأثير على مجرى الحياة الاجتماعية.

وتكمن اهمية البحث في موضوع يتعلق بالمرأة بغية رفع مستوى المجتمعات من خلال مساعدة المرأة على تطوير ذاتها وقدرتها على خدمة المجتمع ، خاصة وان التغير الايجابي الذي تسمو اليه المجتمعات مرهون بشكل كبير بتطوير واقع المرأة وقدرتها على القيام بأدوارها في المجتمع ،الى جانب تعريف المجتمع بأهمية اشباع حاجات المرأة من خلال الوقوف الى جانبها والعمل على استحصال حقوقها . ومن ذلك يكمن الهدف من اجراء البحث في التعريف على واقع المرأة بشكل عام والموصلية بشكل خاص واستجلاء الغبار لتتضح الصور جالية عن واقع ومعاناة وآمال وطموحات المرأة الموصلية

وتوصل البحث الى عدد من النتائج كان من أهمها إن الحكاية الشعبية فنٌ له منطقٌ هادف، لا تستخدم الكلمات الجارحة، ولا تفحش بالقول، لها هدفٌ أخلاقيٌ وتربويٌ.، شمولية وتنوع للموضوعات التي عالجتها ومن ضمنها موضوع المرأة وطبيعة واقعها المعاش، جعلها أصلح وعاء ينقل لنا مضامين تربوية واجتماعية للمجتمع الإنساني الذي أنتج هذه الحكايات.

الكلمات المفتاحية: (الفكر الاجتماعي الشعبي، الحكاية الشعبية، صور المرأة).

The images of women in mosul folk tales an

-analytical study-

University of Mosul/College of Arts
Asst. Prof. najla' eadil hamid alraashidi

Date received: 31/12/2023
Acceptance date: 31/1/2024

Abstract:

The Mosuli folk tale is imprinted with the social stamps that the Mosuli individual bears and believes in. The folk tale records daily events and facts, and it has a strong influence on the values of the people from whom it stems as narrators and listeners

Therefore,it is not possible to ignore the values and traditions in the folk tale that dominated the Mosuli individual, and made him harmonize with them, so that he shapes his life and behavior according to them, as there is no society, old or new, that women did not play their role in his life, the nature of life imposed on The human being, the feeling of his connection to the forces of the role that women play in society, whether at the family level or at the level of society, and in light of this feeling, it was necessary for women to take an important part of his popular heritage in general and folk tales in particular

Mosuli folk tales cover various aspects of life, the Mosuli person's view of social life, and his dealings with everything that surrounds him and affects him, good or bad, and directs the course of the daily life of the community, with familiar, guiding signs.

The researcher decided to conduct this study to find out how the Mosuli folk tale dealt with the issue of women in the daily life of the Mosul community, and it had a clear role in influencing the course of social life

The importance of researching a topic related to women lies in order to raise the level of societies by helping women develop themselves and their ability to serve society, especially since the positive change that societies aspire to is largely dependent on developing the reality of women and their ability to carry out their roles in society, in addition to informing society of the importance of satisfying Women's needs by standing by their side and working to obtain their rights. The aim of conducting the research is to introduce the reality of women in general and Mosul in particular, and to clear the dust so that clear pictures of the reality, suffering, hopes and aspirations of Mosul women become clear

The research reached a number of results, the most important of which was that the folk tale is an art that has a purposeful logic. It does not use offensive words or obscene speech. It has a moral and educational purpose. The comprehensiveness and diversity of the topics it dealt with, including the topic of women and the nature of their lived reality, made it the most suitable vessel to convey to us. Educational and social implications for the human society that produced these tales

Keywords: (Popular social thought ،Folktale ،Pictures of women).

المقدمة :

في ظل الحضارة العربية القديمة، عرف العرب القصص غير المكتوبة، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من شعوب الأرض فحين تركن الجماعات إلى السمر يتبادلون الأحاديث ويروون الأقاصيص والحكايات [١] ، فهي تجسد ذاكرة القبيلة، وتبقي البطولات حيةً في قلوب الناس وعقولهم وتحفظ إنجازات الماضي وتنقلها إلى الأجيال المقبلة [٢] .

في حين لم يكن اهتمام الإسلام بالقصة لذاتها وإنما بصفتها أداةً تثقيفيةً يتخذها سلاحاً يشهره بوجه الفكر الوثني، وهكذا انتشرت القصة التي صار لها هدفاً وعظياً تربوياً [٣] لقوله تعالى: " قَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ" (يوسف: ١١١).

وارتفع شأن القصص في العهد الأموي الذي استمر بدوره في الوعظ والتوجيه، حتى أصبح عملاً رسمياً يعهد به إلى رجالٍ رسميين يتلقون عليه أجراً[٤].

ومع التطور الذي حصل في العصر العباسي، اقتضى ذلك تغييراً في دور القاص الواعظ، وظهرت شخصية الحكواتي الذي يكون مؤلفاً للحكاية وممثلاً لها في آنٍ واحد [٥].

وبدخول الوطن العربي تحت حكم العثمانيين، الذين لم يعطوا أبد الاهتمام للشؤون الاجتماعية ومجمل الحياة العامة للمواطنين خاصةً في المرحلة المتأخرة من حكمهم، ظهرت السير والملاحم الشعبية التي كانت التعبير الطبيعي عن ما يعتمل في نفوس الجماهير من أحلام وأمنيات عظيمة [٦].

واستمر الحال حتى أواخر القرن الثامن عشر، حيث بدأت النهضة العربية الحديثة، التي شملت النواحي الثقافية أيضاً ونشّطت حركة الترجمة، وكانت حملة نابليون على مصر أول احتكاكٍ بالغرب على صعيدي السياسة والثقافة ناهيك عن الصعيد الحضاري[٧] ، وقد كان أثر ذلك ازدواج النظرة العربية تجاه الانفتاح، فكان موضوع الحكاية الشعبية محاولة التغني بأمجاد الماضي وأبطاله لخلق موازنةٍ نفسيةٍ بين ما هو كائنٌ وبين ما يطمحون إليه بعد احتكاكهم بالغرب ومن خلال ذلك عُكِسَت في الحكايات الشعبية أنماطاً للحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد[٨].

أما عن الحكاية الشعبية في الوقت الحاضر، وعبر العقود الأخيرة ونتيجةً للتغير الاجتماعي السريع والنوعي والاتصال المتزايد بمعطيات الحضارة المعاصرة، أخذت بالانحسار ، بفعل الإذاعة والتلفزيون والصحف وغيرها من وسائل الإعلام[٩].

يوصلنا التطور التاريخي لمسار الحكاية الشعبية وشكلها، إلى تأكيد العلاقات الجدلية القائمة بين الحكاية والمجتمع الذي تُعَبِّر عنه، وقد جعل ذلك الحكاية تتخذ أشكالاً متوافقة تماماً مع طبيعة المرحلة التي نشأت فيها ولها، كما ويؤكد على دور الحكاية الشعبية الفاعل في إيصال الأفكار والمعاني التي تعالج مختلف الظروف والنواحي الخاصة بحياة أي مجتمع.

والملاحظ على الحكاية الشعبية عموماً والموصلية خصوصاً، تطرقها إلى مختلف مجالات الحياة، فنجد فيها صدق الحياة الاجتماعية بما فيها من علاقات وتفاعلات ومظاهر اجتماعية مختلفة، ومضامين سياسية وأخرى اقتصادية بكل أبعادها، ومضامين أجتماعية ، ومضامين أخلاقية.

انقسم البحث على مقدمة ومبحثين، الأول عنوانه الإطار المنهجي الذي تمثل بتحديد موضوع الدراسة، وأهميتها، ومنهجها، والمبحث الثاني تضمن صور المرأة في الحكايات الشعبية الموصلية ، بشقيها الأيجابي والسلبي ، وانتهى البحث بخاتمة تتضمن أبرز النتائج والتوصيات والمقترحات.

المبحث الأول: الإطار المنهجي للبحث

أولاً:- تحديد موضوع البحث:-

تشكلت في الحكايات الشعبية معظم تصورات المجتمع، بل إنه (المجتمع) بكل جوانبه ومعطياته.ولم يكن أي مجتمع بعيداً عن مضامينه الأجتماعية حاول غرسها في نفوس أبنائه من خلال تضمينها حكاياته الشعبية.

ومن هنا تحاول الباحثة إبراز صور المرأة بشقيها الأيجابي والسلبي في موضوعٍ له حضور في علم الاجتماع العام ، فكان موضوع البحث (صور المرأة في الحكاية الشعبية الموصلية).

ثانياً:- أهمية البحث:-

يكتسب البحث أهميته من خلال محاولته التأطير الأكاديمي لموضوعٍ له أهمية كبيرة في نفوس أبنائه (وهو الحكاية الشعبية) فضلاً عن ما لهذا الإسهام من إغناءٍ للدراسات التراثية وتوثيقٍ لجزءٍ من تراثنا الشفاهي.

ثالثاً:- هدف البحث:-

يهدف البحث إلى تعزيز الفكر الاجتماعي الشعبي من خلال إضفاء الطابع العلمي على مضامينه كما يسعى إلى تعزيز الدعوة لمزيدٍ من الدراسات الاجتماعية حول تراثنا الاجتماعي.

رابعاً:- نوع البحث:-

يتحدد نوع الدراسة أو نمط البحث "على أساس مستوى المعلومات المتوفرة لدى الباحث وعلى أساس الهدف الرئيسي للبحث"[١٠] ، وبما أن الدراسة ركّزت على تحليل الحكايات الشعبية، بهدف الوصول إلى صور المرأة فإن الدراسة لا تتوجه إلا إلى المأثور منها والمدوّن، فإنه اقتضت الضرورة، الاتجاه نحو الدراسة النظرية، فأصبح بذلك نوع الدراسة نظرياً ذا طابع وصفي-تحليلي.

خامساً:- منهجية البحث:-

أ- مجالات البحث:- إن البحث أياً كان نوعه فلا بد أن يكون له مجالاً يتحرك فيه وتفرض طبيعة البحث النظرية أن يكون مجال بحثنا الحكايات الشعبية المدونة فيما يأتي من مصادر:-

١- كتاب (نظريات في الزجل والأدب الشعبي الموصلي) لـ(عبد الحكيم اللاوند)، وكتاب (أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية) لـ(د. عمر محمد الطالب)ووكتاب (حكايات الموصل الشعبية)لـ(أحمد الصوفي) وكتاب (الموصل أيام زمان) لمؤلفه (أزهر العبيدي) .

٢- حكايات مدونة في بعض أعداد مجلة التراث الشعبي.

ب- منهج البحث:- استخدمت الباحثة منهج التحليل الاجتماعي لمضامين الحكاية الشعبية الأعتقادية، يعد التحليل الاجتماعي من أنسب المناهج في تحليل الحكاية الشعبية إذا ما أخذنا في الاعتبار طبيعة الموضوع

نفسه، ولعل أبرز من حقق في منهج التحليل الاجتماعي هو (ماكس فيبر)، وذهب ماكس فيبر إلى أن "أول مقولات المنهج هي مقولة الفهم، والفهم عند فيبر ليس مرادفاً للحدس التعاطفي الغامض الذي تحدث عنه غيره من الفلاسفة ولكنه فهمٌ فكريٌ وتحليليٌ، وتفسيرٌ تنبؤيٌ للسلوك"[١١] ولا شك أن الحكاية الشعبية هي من بين أبرز الموضوعات التي تقتضي فهماً أولياً قبل اللجوء إلى التفسير الاجتماعي ومن متغيري الحكاية والإنسان على اعتبار أن الحكاية ذات ارتباط جدلي به تصبح مقولة الفهم لازمة في التحليل الاجتماعي "وهو بهذه المثابة مدخل فريد للعلوم الثقافية لأنه يتعلق بالإنسان أكثر من أي شيءٍ آخر، فالإنسان هو القادر على فهم مقاصده الخاصة بواسطة الاستبطان وهو كذلك الذي يستطيع أن يفسر دوافع الآخرين من خلال معرفة مقاصدهم"[١٢].

إن التحليل الاجتماعي يعطينا نظرة مزدوجة فهو "إرجاع الكل إلى أجزائه"[١٣] وهو في هذا المعنى يصب في صلب موضوع الباحثة من محاولة قراءتها للحكاية الشعبية من منطق الكل (كل الحكاية) والاتجاه نحو جزئياتها (جزئيات الحكاية) ذات الدلالات الاجتماعية المتنوعة في أهدافها، خاصةً إذا ما أخذنا في الاعتبار طبيعة التحليل نفسه أنه "عملية ذهنية منطقية تقوم على تفكيك الموضوع المدروس إلى أجزاء أساسية بغية دراسة هذه الأجزاء دراسة مفصلة بهدف فهم العناصر التي تكوّن منها فهماً دقيقاً"[١٤].

سادساً:- المفاهيم العلمية:-

أولا":- الحكاية الشعبية :-

في المدلول اللغوي للحكاية يورد أبن منظور بأن الحكاية كقولك حكيت فلانا وحاكيته حكاية فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه ، وحكيت عنه الحديث حكاية[١٥].

وتعد الحكاية الشعبية من أنواع الفلكلور الشعبي، الذي يعتمد الكلمة، والذي من أنواعه الأشعار الشعبية ونصوص الأغاني والحزورات (أي: الأحاجي) والخرافات [١٦] ، أو ما يطلق عليه الأدب الشفاهي أو الفن الملفوظ، ويجوز أن يكون نوادر وأهازيج، وملاحم وأمثالاً[١٧].

فالحكاية من المحاكاة او التقليد وترتبط أولا وقبل كل شيء بمحاكاة الواقع أو في أقل تقدير بمحاكاة واقع نفسي للعقل الاجتماعي يقتنع أصحابه بحدوثه ، وعلى هذا الاساس تكون الحكاية أسترجاعا للواقع أو مايتصور أنه الواقع من خلال الكلمة [١٨].

أما التعريف الأجرائي للحكاية الشعبية فهي:-

شكلٌ سرديٌ تقليديٌ، ونتاجٌ فكريٌ غير مدونٍ في الغالب، أو في طور التدوين أحياناً، ينتقل عبر الأجيال بالرواية الشفوية، مبدعها الشعب، أبطالها المجتمع ورموزه، حوارها اللهجة العاميّة، يشترك في خلقها والتأثير فيها مجمل ظروف المجتمع الطبيعية والحضارية والسياسية والاقتصادية والدينية والثقافية، تضم صور

الشعب وبطولاته الأخلاقية والتعليمية والتربوية والثقافية والعقائدية والاجتماعية بشتى مغامراتها ومفارقاتها، وهي تنقل خبرة المجتمع وتجربته القديمة عبر العصور للأجيال اللاحقة شفاهاً تارةً وكتابةً تارةً أخرى.

ثانيا" :- المرأة:

الإمْرأة: الليث، امْرأة تأنيث أمْرىء، والعرب في المرأة ثلاث لغات يقال هي امْرأتُه وهي مَرْأتُه وهي مَرَتهُ، وفي حديث علي كرم الله وجهه لما تزوج فاطمة رضوان الله عليهما قال له يهودي أراد أن يبتاع منه ثياباً لقد تزوجت امرأة، يريد امرأة كاملة كما يقال فلان رجل أي كامل في الرجال(١٩).

وقد تم تحديد المقصود –بالمرأة– في هذه الدراسة–إجرائياً–

بـ "المرأة الأنثى بنتاً أو أختاً أو أماً أو زوجة، والتي صورتها الحكاية الشعبية بصور مختلفة ، سواء صور ايجابية أما سلبية ، لها تأثير واضح وأدوار تقوم بها سواء في حياتها الخاصة أو في الحياة العامة".

تضمنت الحكاية الشعبية الموصلية معالجة موضوع صور المرأة في الحياة العامة للمجتمع الموصلي ، وسنحاول الإشارة إليها في الحكاية الشعبية الموصلية، وعلى النحو الأتي:-

المبحث الثاني:- صور المرأة في الحكاية الشعبية الموصلية:-

تمهيد :-

للمرأة نصيب كبير في الحكايات الموصلية ، فترسم المرأة في مجتمعنا بصورة تكاد تكون متكاملة مع واقعها ، المرأة في عفتها وذكائها ، وفي جهلها وغبائها ، وفي مكرها وخداعها وفي استغلالها وكبريائها ، وفي رذيلتها وخيانتها ،وفي صبوها وتصابيها .

وتجدر الإشارة إلى انه ثمة علاقة مطردة في ظروف تاريخية واجتماعية معينة ، هي التي كانت تتحكم في رسم ملامح كاملة للمرأة .

وفي الوقت الذي تسجل الحكاية الموصلية للمرأة ما تقوم به من ادوار ايجابية لا يمكن إنكارها تحفظ للمرأة ما عرف عنها من الصفات المأثورة مثل الدهاء والمكر والغيرة ، فأنها في الوقت نفسه لا تنسى آن توجه النقد القاسي لها حين تنحرف عن السلوك القويم.

فالحكاية تلتقط لنا مجموعة من الصفات الإيجابية والمواقف السلبية للمرأة العراقية في المجتمع الموصلي .

أولا":- صور من ايجابيتها : -

١. مساندتها للرجل :-

فهاهي تقف إلى جانب الزوج مساعدة ومشاركة في الحياة وتكاليفها، كما في حكاية " زوجة ملا ناصر الدين" (٢٠) " حيث تعيل المرأة زوجها الكسول العاطل عن العمل القاعد على سبع خرزات ظهره (*) في حين أمراته تكد وتكدح ، لم يبع ولم يشتر في حياته كلها ولم يربح فلسا واحدا"، يقضي جميع أوقاته في المقاهي

والملاهي يؤنس [**] الناس بملحه ونكاته وفكاهاته ومضحكاته ، ويقص عليهم الحكايات الهزلية وهكذا مضى على زواجه أربعون سنة ، ولاتزال المرأة تعيل زوجها الكسول ، حيث كانت تعمل خادمة في البيوت ، ولكنها لا ترضى لزوجها إن يكون عالة عليها وعلى المجتمع ، فتدفعه للعمل ، وعندما تتقاعس تشتري له بما لديها من مال أدخرته لأيام العازة ، حمارا" وأدوات عطارية وتعلمه البيع والشراء" وتعرض لنا حكاية " البنين السبعة والبنات السبع" [٢١] قدرة المرأة على مشاركة الرجل أعماله،اذتنجح الفتاة نجاحا عظيما في التجارة ، وتحتل مكانة مرموقة في سوق التجار حتى آن ابن الملك لا يشتري السلعة إلا من متجرها لما تتصف به من لباقة في البيع وقدرة على عرض افخر أنواع الحاجيات والسلع في دكانها ، بل إنها تغلب الرجال في هذا المضمار .

٢. تقوم بدور الزوج :-

ونجدها تقوم بدور زوجها ، حتى بعد وفاته، فمن المعروف في مجتمعنا أن المرأة إذا توفي زوجها تحفظ ذكراه،وتندفع بهمة لتربية أولادها من دون آن تفكر بالزواج،خوفا على مشاعر أولادها وخشية آن يحسوا بفقدان الحنان وحرمانهم من عطفها بعد آن حرموا من عطف والدهم ، وتعكس لنا الحكاية الشعبية هذه الظاهرة في حكاية(السعلوة وأبنها والنساجتين)[٢٢] " فعندما يموت الزوج لا تستكين الزوجة بل تعمل في غزل الصوف هي وأبنتها لتعتاشا من هذا العمل " .

وقد تقع المرأة ،في مشاكل لقاء حنانها وعطفها الزائد، الذي تدفع ثمنه فيما بعد ، لأن عاطفتها جعلتها تبتعد عن أسلوب التربية الصحيح ، القائم على العقاب بجانب اللين ، وتعليمه العطاء إلى جانب الأخذ .هذا ما عكسته حكاية (الحاج احمد أغا)[٢٣] "مات رجل وترك زوجته ، وفي حجرها طفل رضيع فعكفت هذه المرأة على وليدها بالحنان وأثرته بالدفء وأعطته وأبلا" كبيرا" من الرعاية حتى بلغ أشده وبدأ يخرج من البيت ويتعرف على أصدقاء ، وكانت الأم لا تمنع عنه أي شيء يطلبه ، مهما كان لأنه حرم من والده ، فلاحظ أصدقاؤه ذلك، فبدأو يستغلونه للحصول على ما لديه من أموال ، وفي الوقت ذاته إعتاد الولد على الأنفاق والأخذ المتواصل ،من دون عطاء ودون تحمل المسؤولية ،حتى إذا صار شابا ولم يبق لدى الأم مالاً تعطيه اخذ يضرب أمه مرارا وتكرارا ، لتوفر له المال ، وبالغ في إيذائها حد أن قررت أن تشكيه لدى الوالي أحمد أغا وبينما كانت تسير في الشارع متوجهة إلى قصر الوالي رأت حمالا" يتمتع بالصحة الجيدة وبعضلات ملفتة للنظر ، وعندما وصلت إلى قصر الوالي ثأرت لديها غريزة الأمومة ، وعندما سألها الوالي عن سبب قدومها قالت : بأن أبنها يعذبها ، فطلب الوالي إحضار أبنها ، فتوجهت بصحبة ثلاثة من الشرطة لتدلهم على مكان أبنها فأخذتهم إلى مكان الحمال الممتلء بالصحة والقوة ، وقالت : هذا أبني ، فلقي تعذيبا" شديدا" ، وهو يصيح هذه ليست أمي فما كان الا أن رضخ وتعهد بعدم إيذائها مرة أخرى ، وعندها تركوا الشاب ليرحل على شرط أن يحملها على ظهره يوميا ويدور بها في إنحاء الموصل بعد صبلاة العصر ، إلى أن شاهده أحد أصدقائه فسأله عن هذه المرأة فرد بأنه يرضي

أمه ، فقال له صديقه الذي يعرف أمه جيدا ، ولكن هذه المرأة ليست أمك ، فرد عليه الشاب أذهب وقل ذلك لأحمد أغا ".

" فكما تؤدي القسوة وسوء المعاملة والإهمال والحرمان من العطف إلى حدوث أثار سيئة في التكوين النفسي للطفل ، فكذلك يؤدي الإفراط الزائد في التسامح والتساهل والصفح من جانب الآباء إلى أثار مماثلة"[٢٤].

٣. الزوجة الوفية : –

تتناول الحكاية الشعبية المرأة بصورة أخرى ، صورة الزوجة الوفية ، كما في حكاية (الفتاة الباسلة شمس النهار)[٢٥] " بعد أن ضل الأمير طريقه في الغابة، يقصد خيمة منعزلة ، فتخرج عليه فتاة تستقبله ببشاشة وترحيب ، وتقوم معه بواجب الضيافة ،و ويعجب بأخلاقها وكرمها ، فيطلب أن يتزوجها ولكنه يريد أختبارها ، ولهذا فأنه لم يتقرب إليها في ليلة زفافه ، ولم يبادلها الحديث ولا كلمة واحدة ، ثم يشير على واحدة من ذوي قرباه أن تتحرش بها صباح يوم الزفاف وتسألها عما شاهدت من زوجها ، وعن رأيها فيه ، فقالت الفتاة شمس النهارلقد رأيت منه كل لطف وبشاشة وإيناس وأني مغتبطة به وبصحبته ، فقالت القريبة إلى الأمير ماسمعت من فم الفتاة شمس فأيقن أنه حصل على امرأة غيورة على سمعة زوجها ، كتومة لأسراره ، فعاشا معا حياة سعيدة ، وكانت شمس النهار تحفظ زوجها في غيابه ، فإذا ما أرادت امرأة محتالة الإيقاع بشمس النهار بعد غياب زوجها عن المدينة لعمل تجاري ، مع شاب فاسد ، تحتال شمس النهار عليه وتقتله لأنه أراد آن يعبث بشرفها ، وتنتصر لشرفها " ومثل هذا الموقف لاحترام المرأة لنفسها وسعيها لان تحظى باحترام زوجها لها ، تعرضه حكاية (السمك في البطيخ وبمكرهن يصعدن المريخ)[٢٦] ، " فقد تزوجها تاجر غني ، وودت أن تساعده في كل شيء ولكنه غلق الباب دونها وتركها أسيرة البيت ، فهو لايثق بالنساء مطلقا ، حاولت أن تفهمه بأن المرأة قادرة على صيانة عفافها أن أرادت والا فلا يستطيع أحد أن يقف بوجه نزواتها وخيانتها لزوجها ولكنه لم يصغ إليها فقررت أن تؤكد قولها عمليا" ، أحدثت ثقبا في الحائط وطلبت إلى متسول ، أعطته نقودا أن يشتري لها سمكا وطلبت الى زوجها أن يشتري بطيخا ، وبعد ذهاب زوجها إلى متجره ثقبت البطيخ وأفرغته من حبه وحشته سمكا ، وعندما عاد في المساء وجلس للعشاء ، راحت تقشر له البطيخ فظهر السمك من داخله ، أقنعت زوجها بأن هذا البطيخ حبه سمك ، تملكته الدهشة ، وفي اليوم التالي ذهب التاجر إلى بائع البطيخ وكسر جميع البطيخ في الدكان فلم يجد في داخله سمكا ، فأرتج عليه الأمر ، وشاع في المدينة أن الرجل قد جن ، ولكن زوجته حكت له القصة كاملة وإعادته إلى صوابه فأدرك خطاه ووضع ثقته بها وسلمها مفاتيح الدار ، ولم يعد يقفل الباب دونها " فأرادت الزوجة بذلك آن توصل لزوجها بأن المرأة تقدر على فعل أي شيء إذا أرادت ذلك ، حتى ولو غلقت الأبواب عليها .

وتبدو المرأة مثالا للوفاء لزوجها ، حتى بعد طلاقه لها في حكاية (ابن الملك والبنات الثلاثة) [٢٧] " يعملن البنات الثلاثة بعد وفاته والديهما في غزل الصوف ، ويوفق الحظ البنت الصغرى فتصبح زوجة لأبن الملك وبعد أشهر تحمل بتوأمين ، ولشدة حسد الأختان تتأمران عليها ويغتنما فرصو المخاض فيبدلا التوأمين بجرو كلب ، ويتركان التوأمين عند باب جامع ، مما يحمل الأمير على طلاقها ورميها خارج القصر ، أما التوأمان فيعثر عليهما صياد يرق قلبه لهما ورغم فقره الشديد ، يتكفل برعايتهما ، لأنه مدرك تماما ان الذي جاء بهما الى الحياة ، هو الذي يكفل رزقهما ، تستأجر الأم دارا" يطل على البحر وهناك تعثر على طفليها ، ويكشف الأمير وشاية أختيها ويدرك خطاه فيرجع إلى زوجته وأطفليه فحين يكتشف، يأتيها معتذراً ذليلا ، في حين تبقى هي محافظة على كرامتها وشخصيتها دون آن تتذلل أو تخضع ، ومحافظة على حبها ووفائها لزوجها حتى بعد ما تعرضت له من ظلم " .

٤. المرأة الصابرة :-

نجد المرأة في الحكاية تمثل ادوار الصبر وتحمل ألمشاق ،وتقابل ما تلقاه من بؤس وظلم وحزن ، فتظفر بالسكينة والخلاص لقاء صبرها ،في حين لا تظفر بشيء من ذلك العبدة المخادعة ، وفي حكاية (بنت السلطان وي عليك) [٢٨] "فبعد آن يعرف الشاب الحقيقة ، ويعلم بالظلم الذي وقع على بنت السلطان ، وبخداع العبدة الكاذبة ، يقتل العبدة ليتزوج بنت السلطان " .

ونجدها صابرة على ظلم امرأة الأب ، والضرة في حكاية (ست الستوت)[٢٩] "حيث أجبرت زوجة الأب والد الصغيرين على تركهم في العراء للتخلص منهما ولم تشعر بتأنيب الضمير تجاه ذلك الفعل المنكر ، وبدل أن تضع لهما زوادة يقتاتان بها أثناء تركهما في العراء كما طلب زوجها منها ، تضع لهما بعرا وجلة (روث بقر) مكان الخبز والتمر وتملأ لهما جرة بول مكان الماء ، وكانها تصبو الى القضاء عليهما ، فأخذت الأخت بيد أخيها وصارت تبحث عن الطعام والماء وبعد شوط وجدوا عين ماء وعندما حاولا الشرب أخبرتهم بأن من يشرب من مائها يتحول الى غزال ، فشرب منها الصبي فتحول الى غزال ، وبكت عليه أخته كثيرا ، وبعد أسابيع من السير الطويل وجدت ست الستوت ماتعتاش عليه من فضلات أحد القصور مضت الأيام بطيئة على ست الستوت وأخيها ، وراحت تسلي نفسها بالعناية بشجرة غرستها ، وسقتها وكانت ست الستوت تجلس الى الشجرة تتأجيها وتتحدث أليها ، وذات يوم يرأها أميرالقصر فيتزوجها ويعتني بأخيها...."

٥. المرأة في مركز اجتماعي محترم :-

المرأة في الحكاية الشعبية ، كما هي في الحياة ، تحتل مركزا اجتماعيا محترما في المجتمع يدل عليه ارتفاع مهرها إذا كان نقدا أو تضحيات في سبيل الوصول إليها ، فهي التي تختار زوجها ’ بالأحرى يختار لها ، حسب مواصفات معينة ، وترفض آن تنقاد إليه دون إرادتها . وتعددت التضحيات بأشكال مختلفة

في الحكاية ، تؤدي جميعها إلى تجشم الصعاب في سبيل الوصول إلى المرأة ، ومثال ذلك حكاية (الأشباح الثلاثة الأبيض ، الأسود ، الأحمر) [٣٠]، " تطالب الاشباح الثلاثة بالثأر من روح المتوفى الذي دفن حيثا والذي أزهق أرواحها فيما مضى من الزمن ، لذا يوصي المتوفى أولاده أن يحرسوا قبره ثلاث ليال بعد وفاته ، وفي الوقت الذي يمتنع الاخوان الكبيران فعل ذلك ، يسهر الاخ الصغير محمد مدافعا عن روح والده لثلاث ليال ويغلب الاشباح الثلاث الابيض والاسود والاحمر ، وينتزع منهم خيولهم وسيوفهم ويترك روح والده مستقرة ذاهبة الى ربها ، ليعود ليبارز كلا من أبنة الملك وأبنة الوزير وأبنة القاضي ، اللواتي بارزن كثيرا ممن تقدم للزواج منهن ، ومات الكثير من الفرسان دون ذلك ، ويتمكن محمد من الفوز بهن مستعينا لذلك بالخيول والسيوف التي حصل عليها ، ليتزوج هو وأخواه من الفتيات الثلاثة " وفي حكاية (الشواك والأبطال السبعة)[٣١] نجد مهراً أو شرط الزواج من ابنة ملك الجان ، الفوز بثلاث مسابقات.

وقد يكون مهر الزواج ، آن يشفي طالب الزواج ، الفتاة من مرضها الذي استعصى على كثير من الأطباء ، كما حدثتنا حكاية (قبيح ومليح)[٣٢] .وترفض الخنفساء[٣٣] في الحكاية التي تحمل نفس الاسم ، الزواج من البقال والقاضي والعطار ، وتزوجت الجرذ لأنه أحبها وقدرها حق قدرها ، وتعهد آن يوفر لها عيش القصور ، وبعد آن مات لطمت خديها ، وحزنت عليه كثيرا ، ".لقد فضلت الجرذ الحقير على ذوي الشأن (البقال والقاضي والعطار) لأنه أعطاها مكانتها التي تستحقها في نفسه .

ثانيا" :- صور من سلبياتها :-

١. هدم البيوت الزوجية :-

أما الصور السلبية للمرأة فلعل هدم البيوت العامرة من أوضحها ففي حكاية (الفتاة الباسلة شمس النهار)، لم يفرق بين الزوجين إلا " المرأة المكارة " كما تسميها الحكاية ولم تعد المياه إلى مجاريها إلا بعد آن هددها الزوج بالعذاب وسوء المصير فقالت ما حدث بالتفصيل .

٢. الدهاء والمكر :-

آن الحكاية تبرز صفة الدهاء والمكر لدى المرأة واضحة مجلوه ، فتعقد لها أكثر من حكاية منها حكاية بعنوان (فن النسوان رقصني)[٣٤] " يهجر الفلاح أرضه بعد أن خسر زراعته ويسافر بعيدا عن أهله ، ويمضي موسم كامل يعمل بالأجرة ، ليعود إلى أهله بعد أن أخذ حصته من الأرباح ولكن في الطريق تحتال عليه أمراة ماكرة تدعي أنه زوجها ويطلقها ليدفع لها كل ما كان لديه من أموال ، وتساعده امرأة ثانية تعرف بدهائها وذكائها ، لتدبر له حيلة ليسترجع نقوده مضاعفة من تلك المرأة الماكرة ، ولشدة خوفه على نقوده ، فأنه يستودعها عند تاجر ، وينكر ذلك التاجر في ما بعد معرفته بهذا المزارع ، ولكن لحسن حظه ، تساعده المرأة الذكية مرة ثانية بحيلة توقع بواسطتها التاجر في شر عمله " .

ومن ابلغ ما يمثل الدهاء في المرأة أنها تعرض أمام زوجها مناظر غير مألوفة للناس كأن تضع له السمك في البطيخ في حكاية (السمك في البطيخ وبمكرهن يصعدن المريخ).

٣. الغيرة :-

من الصفات الأخرى التي تذكرها الحكاية للمرأة الغيرة ، وهي صفة قد ركبت فيها ، ففي حكاية (ابن الملك والبنات الثلاث) " توقع الأختان بأختهما الصغيرة ، وتحملان زوجها على أن يطلقها ويطردها من قصره " من شدة غيرتهن من أختهن الصغرى لأنها تزوجت من ابن الملك وأنجبت منه توأمين ، فيوقعن بها ، ولكن الحكاية في النهاية تنتصر لها وتنقذها لتظهر عدم موافقتها على هذه الصفة .

وفي حكاية (ست الستوت) " تغار الزوجة الأولى من ضرتها ، لشدة حب الزوج لها ، خاصة بعد آن علم أنها حامل فيما كانت الزوجة الأولى عاقراً ، لم تنجب له ولداً ، فتقرر الإيقاع بها وتصل إلى ما تريد ولكن الحكاية تعاقبها فتعيد الأمر إلى ما كان عليه .

ويتبع الغيرة معاملة الزوجة لأبناء زوجها من ضرتها أنها تكيد لهم كيدا شديدا ، وتؤدي بهم إلى موارد التهلكة بعد آن تطردهم من البيت ، كما يتضح في حكاية (ست الستوت) " حيث أجبرت زوجة الأب والد الصغيرين على تركهما في العراء ، بعد آن تبدل طعامهما وشرابهما "

٤. غفلة :-

تعرض لنا الحكاية للمرأة في المجتمع الموصلي صورة هزلية ، وهي صورة الغفلة التي تبدو على بعض نساء المجتمع واضحة إلى درجة تبعث على السخرية وتستدر العطف على الزوج في الوقت نفسه ، ففي حكاية (المرأة والنعجة)[٣٥] " يهجر الرجل زوجته الغبية لأنها ألبست جميع ملابسها وحليها لنعجتها "وثمة حكاية أخرى لهذا المعنى بعنوان (المطلقات السبع)[٣٦] وهي تحكي قصة سبع مطلقات كأن غباؤهن سببا لطلاقهن .

النتائج والتوصيات والمقترحات:-

أولا":- النتائج:- من خلال التحليل السابق لبعض النماذج من الحكايات الشعبية الموصلية، توصلت الباحثة الى مجموعة من النتائج ، ما يكن ررصدها فيما يلي:-

١- في إطار دراستنا (للحكاية الشعبية)، تبين لنا أن هذه الحكايات فن أدبي أمتلك من الخصائص والسمات ماأهلها أن تصبح فنا"،عبر عن غايات وتجارب ومثل إنسانية، فكانت اصلح وعاء ينقل لنا مضامين حياتية للمجتمع الإنساني الذي أنتجها.

٢- إن الحكاية الشعبية الموصلية هي فنٌ له منطقٌ هادف، لا تستخدم الكلمات الجارحة، ولا تفحش بالقول، لها هدفٌ أخلاقيٌ وتربويٌ.

٣- شمولية وتنوع للموضوعات التي عالجتها وللفئات التي خاطبتها، جعلها أصلح وعاء ينقل لنا مضامين تربوية واجتماعية للمجتمع الإنساني الذي أنتج هذه الحكايات.

٤- يمكن الاستفادة من الحكاية الشعبية الموصلية بوصفها نصاً أدبياً مشوقاً ذي مضامين تربوية وأخلاقية وتثقيفية.

٥- إن الحكاية الشعبية جزء مهم من ثقافة تهدف إلى زرع العطاء والتضحية وبناء شخصية الإنسان وفقاً لتلاحم قوى الخير والإخلاص في خدمة الآخرين على وفق أفضل السبل.

٦- إن الحكاية الشعبية الموصلية فنٌ يغلب عليه البساطة والتلقائية، سواءً من حيث الأسلوب المتبع أو الكلمات المستخدمة.

ثانيا":-التوصيات:- توصي الباحثة عدد من الأمور أهمها:-

١- من الأفضل عند رواية الحكاية التفاعل مع أحداثها، بكل الأساليب كتغير نبرة الصوت والتقليد والحركة والأشارات، لأنها تضفي على الحكاية عنصر الإثارة والمتعة وتشد الأنتباه أكثر.

٢- تشجيع العمل الهادف إلى حماية وصون النتاج الشعبي العراقي بشكلٍ عام والموصلي على وجه الخصوص.

٣- حث الباحثين والمهتمين بجمع المأثورات الشعبية ودراستها في العراق على مواكبة التطور العلمي في استخدام التقنيات العلمية الحديثة في توثيق مواد المأثورات الشعبية وإطلاق البوابة الالكترونية باللغتين العربية والانكليزية.

٤- العمل على جمع وتسجيل مواد المأثورات الشعبية العراقية وتوثيقها بالوسائل الحديثة لتسهيل تقديمها للباحثين والدارسين والمهتمين بالمأثورات الشعبية.

ثالثا":- المقترحات

١- الدعوة إلى إنشاء معاهد علمية ومراكز بحثية تعني بإعداد الكوادر المدربة على جمع وتوثيق وحفظ وأرشفة المأثورات الشعبية العراقية وفق آلية ونظام موحد.

٢- إنشاء قاعة مخصصة تضم في رفوفها الكتب والدوريات المعنية بالدراسات الفولكلورية، بدلاً من وجودها منتشرةً في العديد من قاعات المكتبة المركزية في جامعة الموصل، مما يصعب الوصول إليها من قِبَل المهتمين والباحثين في هذا المجال.

٣- توجيه الاهتمام من الجهات المعنية لتضمين النتاج الشعبي بكل أنواعه، ضمن الأنشطة الفنية بالمدارس.

هوامش البحث ومصادره:

١ مصطفى الشكعة ، الأدب في موكب الحضارة الأسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٤،ص٥٦١.

٢ ر.ل.بريت ، التصور والخيال ، ترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٧٩، ص١٧.

٣ عز الدين إسماعيل ، المكونات الأولى للثقافة العربية ، ط٣، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦، ص١٣٢.

٤ أحمد آمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩، ص١٦٠.

٥ محمد كمال ، العرب والمسرح ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٧٩.

٦ فاروق خورشيد ، أضواء على السيرة الشعبية ، منشورات إقرأ ، بيروت ، ١٩٨٠، ص١١٢.

٧ سعد الدين دغمان ، الأصول التاريخية لنشأة الدراما في الأدب العربي ، دار الأحد ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص٣٧.

٨ فاروق خورشيد ، أضواء على السيرة الشعبية ، مصدر سابق ، ص٢٥.

٩ أحمد زياد محبك ، من التراث الشعبي دراسة تحليلية للحكاية الشعبية ، ط١، دار العرفة ، بيروت ، ٢٠٠٥، ص١٥.

١٠ عبد الباسط محمد حسن ، أصول البحث الأجتماعي ، ط١، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٧، ص١٢٩.

١١ ب.ريكمان ، منهج جديد للدراسة الأنسانية ، ترجمة : علي عبد المعطي محمد ، محمد علي محمد ، ط١، مكتبة مكاوي ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٢٦.

١٢ ب.ريكمان ، منهج جديد للدراسة الأنسانية ، مصدر سابق ، ص٢٩.

١٣ دعبد المنعم الحفني ، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٣، ٢٠٠٠، ص١٨٧.

١٤ فردريك معتوق ، معجم العلوم الأجتماعية ، أكاديميا بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣ – ١٩٩٨، ص٣٧.

١٥ ابن منظور ، جمال الدين بن محمد ، لسان العرب ، ج١٨، المؤسسة المصرية العامة ، مصر ، ب.ت، ص٢٠٧.

١٦ شهرزاد قاسم حسن ، حول ضرورة الإسراع في جمع التراث الموسيقي ، مجلة التراث الشعبي ، العددان (٥-٦) ، السنة ٢، ١٩٧١، ص٨.

١٧ أحمد كمال زكي ، الأساطير – دراسة حضارية مقارنة ، ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٤.

١٨ طلال سالم نايل ، دور الفنون التقليدية الذائعة شفاها وأثرها في إرساء قيم فاضلة ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الثاني ، السنة الثامنة ، ١٩٧٧، ص٨٩.

١٩ أبن منظور، لسان العرب، ج١، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، بدون تاريخ، ص١٥٠-١٥١.

٢٠ أحمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية ، يصدرها مركز الفولكلور العراقي ، المكتبة الفولكلورية (٤) ، ١٩٦٢، ص١١٤-١١٨.

(*) القاعد على سبع خرزات ظهره : تعبير محلي المقصود منه الانسان المستريح الذي يشتغل له الاذخرون . والخرزة هنا : هي فقرة عظمية واحدة والمتمدد على سبع منها لابد أن يكون مستريحا" .

(**) الونسة وونس : تعبير محلي للأنس والإيناس.

٢١ أحمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية، مصدر سابق، ص٣٤-٤٢.

٢٢ نفس المصدر ، ص٥٩-٦١.

٢٣ طلال الصفاوي ، سجل للباحثة هذه الحكاية على شريط مسجل ، في يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٦.

٢٤ د. مصطفى فهمي ومحمد علي القطان ، علم النفس الاجتماعي ، ط٢، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧، ص١٢١.

٢٥ أحمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية ، مصدر سابق ، ص٤٣-٤٨.

٢٦ نفس المصدر، ص٦٧-٧٢.

٢٧ أحمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية، مصدر سابق،ص٩٣-٩٧.

٢٨ عبد الحليم الاوند ، نظرات في الزجل والادب الشعبي الموصلي مع دراسة تحليلة لشعر عبو المحمد علي ، ط٢، شركة الجمهور ، الموصل ، ١٩٨٥، ص ٢٣٠ – ٢٣٣، ووردت الحكاية نفسها بقلم د. عمر محمد الطالب ، بعنوان لعبة الصبر ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الثامن ، السنة العاشرة ، ١٩٧٩، ص١٨٥- ١٨٨.

٢٩ عمر محمد الطالب ، أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية ، الموسوعة الصغيرة ٨٦ ، دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص١٣٩ – ١٤٥ .

٣٠ أحمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية ، مصدر سابق ، ص١٠٢-١٠٥.

٣١ نفس المصدر ، ص٧٣-٨٨.

٣٢ خليل محمد ابراهيم ، حكاية شعبية (قبيح ومليح) ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الاول ، السنة التاسعة والثلاثون ، ٢٠٠٨ ، ص١٥٦-١٥٨.

٣٣ احمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية ، مصدر سابق ، ص١٠٨-١١٣.

ويروي الحكاية نفسها : عبد الباري عبد الرزاق النجم ، ملامح الحكاية المولية ، مجلة التراث الشعبي ، العدد (١) ، السنة الخامسة، ١٩٧٤، ص١١٠.

ويقدم نفس الحكاية : أزهر العبيدي ، الموصل أيام زمان ، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٨، ص٢١٩-٢٢١.

٣٤ فالح السيد أحمد ، الأثر التربوي للحكايات الساخرة في الموصل ، مجلة التراث الشغبي ، العدد الأول ، السنة الثالثة أيلول ١٩٧١ ، ص٨٣-٨٨.

٣٥ احمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية ، مصدر سابق ، ص٢٦-٣٣.

٣٦ أزهر العبيدي ، الموصل أيام زمان ، مصدر سابق ، ص٢٢٤-٢٣٠.

ويقدمها: احمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية ، مصدر سابق ، ص١٤-٢٥.

ويقدمها ايضا" : عبد الرزاق النجم ، ملامح الحكاية الموصلية ، مصدر سابق ، ص١١٩.